

محاضرة 05 + محاضرة 06:

العجيب و الغريب:

1- المفهوم اللغوي للعجيب و الغريب:

تنطلق هاتان الكلمتان من أرضية لغوية دلالية مشتركة، وهي الغموض، وغير المؤلف، فالغريب لغة : الغامض من الكلام. العُربَةُ و العَرَبُ: النوى و البعدُ. و الغريب البعيد عن وطنه. و الغريب كل أمر عجيب، قليل الوقوع، مخالف للعادات المعهودة، و المشاهدات المؤلفّة.

أما العجيب فهو من الفعل عَجَبَ، العُجْبُ و العَجَبُ: إنكأ ما يردُّ عليك لقلّة اعتياده، و أصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره، و يقلُّ مثله، قال: قد عجبْتُ من كذا و العجبُ النظر إلى شيء غير مألوف و لا معتاد. و العجب ميزة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفته سبب الشيء أو عن معرفته كيفية تأثيره فيه.

2- العجيب و الغريب في الاصطلاح النقدي:

العجيب " fantastique " مصطلح نقدي تبنته بعض الدراسات الغربية. و التي تأثر بها النقد العربي المعاصر غير أنّ الاختلاف بين الباحثين العرب في اختيار اللفظ العربي المناسب لترجمة هذا المصطلح شكّل اضطرابا في تصور المفهوم. وتعدّدت المصطلحات كالعجائبية، و العجيب و العجائبي والغرائبية، الخارق، الفانتاستيك، الفانطاستيكية، و الوهمي، والخيالي، و المدهش، اللامعقول...

و الملاحظ عند النقاد العرب أنهم لم يخرجوا عما جاء به " تودوروف " ولكن بتسميات مختلفة.

وانطلاقا من تلك العلائق التي يؤسسها المعجم بين كلمتي " الغريب و العجيب" وما يحاذي مدار فلكهما من كلمات مثل الخارق و المعجز و التردّد و الشك والخوف تؤسس هاتان الكلمتان شبكة دلالية واحدة تنبثق من الخروج عن المؤلف و القاعدة واتباع الاستثنائي و الشاذ.

ويعرف " تودوروف " العجائبي بأنه التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فيما يواجه حدثاً فوق طبيعي حسب الظاهر بمعنى أن ثمة قوانين جديدة غير مألوفة يجب قبولها في تفسير الظواهر الطبيعية.

ويقول " روجيه كايوا " : إنما العجائبي كله قطيعة أو تصدع للنظام المعترف به، واقتحام من اللا مقبول لصميم الشعرية اليومية التي لا تتبدل.

أما " لويس فاكس " فقد رأى بأن القص العجائبي يجب أن يقدم لنا بشراً مثلنا، فيما يقطنون العالم الذي نوجد فيه، إذا بهم فجأة يوضعون في حضرة المستغلق عن التفسير.

ويبرز العجائبي حين يجد المتلقي نفسه أمام صبغة غير مألوفة، وهو ما يثير لديه حالة شعورية خاصة ليست طبيعية فيظهر التردد، وحيرة النفس أمام أحداث غير طبيعية، وهنا لا يدوم العجائبي إلا زمن التردد: تردد مشترك بين القارئ و الشخصية، فإذا قرّر القارئ أن قوانين الواقع تظل غير ممسوسة و تسمح بتفسير الظواهر الموصوفة، قلنا إن الأثر ينتمي إلى جنس الغريب أما إذا قرر أنه ينبغي قبول قوانين جديدة للطبيعة، يمكن أن تكون الطبيعة مفسرة من خلالها فإننا نكون أمام جنس العجيب.

فالغريب هو الذي تبدو أحداثه فوق طبيعية على طول القصة و في النهاية تلقى تفسيراً عقلانياً، بمعنى أن الأحداث التي تظهر في البداية خارقة أو غير قابلة للتفسير تتحوّل في النهاية إلى أحداث عادية أو مفهومة. فإما أن هذه الأحداث لم تقع فعلاً (كأن تكون ثمرة تخيلات غير منضبطة: أحلام، عارض نفسي، هلوسة...)، وإما أن وقوعها تم نتيجة صدفة، أو خدعة أو سر مكتوم، أو ظاهرة قابلة للتفسير العلمي. فالغريب إذن نص ينتهي نهاية ذات تفسير طبيعي، بعد حدوث أحداث ذات بعد فوق طبيعي.

وقد مثل " تودوروف " للغريب بأعمال " أغاثا كريستي " البوليسية حيث يظهر الحدث في البداية خارقاً للمألوف وسرعان ما ينتهي بتفسير منطقي. ويتحدد العجيب من هنا بحسب الإنزياح الذي يحدثه في التعامل مع الواقع، فيصبح بذلك عالماً فوق طبيعي له قوانينه الخاصة التي تجيز ذلك الحدث النادر القليل الوقوع الشاذ... من مثل الطيران أو المشي فوق الماء، ونوم أهل الكهف لزمن طويل، والمناقب والكرامات التي حفل بها تراثنا العربي وحكايات الجن والشياطين التي تتلبس أشكالاً حيوانية متعددة. فهذه الأحداث والظواهر تجعل

المتلقي يصطدم، ويقع في حيرة شديدة لأنها تكسر نظام المؤلف، ولكن بما أنها أحداث حياتية وليست بقرآن أو حديث شريف أي أنها غير مقدسة فهذا يثير لدى المتلقي الشك في ضرورة تفسيرها تفسيراً فوق طبيعي. وهكذا يبقى المتلقي متردداً بين تفسير متصلح مع المؤلف وتفسير آخر خارج عليه، وفي هذا التردد يحيا العجائبي.